المسـرح المدرسـي، منطلقاته التاريخية ،وأهميته التربوية

أ .قرفي محمد
جامعة جيجل

ملخـص :

يهـدف هـذا المقـال إلـى إبـراز المسـار التاريخـي للمسـرح المدرسـي فـي علاقتـه بالتربيـة والتعليـم من أجـل الكشـف عـن أبعـاده، وتحديـد أهدافـه، وتبريـر ضـرورة وجـوده، وتأكيـد فاعليتـه فـي رفـع مـردود التعليـم العـام، وفـي تبسيـط عمليـة التعلـم فـي أحضـان التربيـة الخاصـة.

Abstract :

This article aims to highlight the historical path of school theater in its relationship with both education and teaching to (1) discover its dimensions, (2) determine its goals, (3) justify the necessity of its existence, and (4) to confirm its efficiency in increasing the performance of public education, and in simplifying the process of learning within special education.

مقدمة :

يعتبر النشاط المسرحي في المدرسة من أبرز المناشط التربوية غير الصفية في شتى المراحل التعليمية، ويأخذ أهميته من الكثير من الأفكار التربوية التي ساهمت بشكل فاعل في تحسين التعلم، وجعلت من المدخل المسرحي احد المداخل المهمة لأنشطة التعليم والتعلم التي تتيح الفرص الكافية للانخراط الكلي معرفيا ونفسيا وعاطفيا للمتعلم في العملية التعليمية التعلمية، وخدمة الأساس الأكثر أهمية للتعلم بصورة عامة وهو اللغة سواء كانت منطوقة أو مكتوبة، خاصة بالنسبة للمتمدرسين الأطفال في المراحل الأساسية لتمدرسهم. حيث ترتبط اللغة ارتباطا وثيقا بالتحصيل الدراسي في جميع المواد الدراسية النظرية والتطبيقية.

لقد بات النهوض بالتعليم اللغوي في ضوء ما أفرزته العلوم التربوية والنفسية الحديثة أولوية كل إصلاح تربوي وتعليمي جاد وهادف، وحيث أن لغو التعليم في المدرسة الجزائرية المعاصرة تعيش مشكلات متعددة الأوجه والصور تضعف فاعليتها في تحقيق أهداف التعلم والتعليم المنوطتان بالمدرسة، فإنه من الضروري البحث في سبل تجاوز ذلك وتنويع أساليب ومداخل التعلم التي بإمكانها جعل المتعلمين في جميع الأطوار قادرين على امتلاك ناصية اللغة التي تشكل بالنسبة لهم مفتاح الفهم والتعبير نطقا وكتابة ثم التدرج في استخدام القدرات العليا للتفكير بما تفرضه أنشطة التعلم المختلفة، حيث يشكل المدخل المسرحي احد المداخل المهمة لذلك والتي أثبتت فاعليتها الدراسات والأبحاث والتجارب.

إشكالية الدراسة:

في ضوء ذلك و بالنظر لما للمسرح المدرسي ومسرح الأطفال عموما من أهمية تربوية بارزة استهدفت الورقة إلقاء الضوء على المحطات التاريخية المهمة لبروز فكرة

مسرحة المناهج الدراسية، واستخدام المدخل المدرسي في المناشط التربوية الترفيهية والتعليمية على السواء، ولإبراز استخداماته في التعليم والتربية للأسوياء ولذوي الاحتياجات الخاصة أيضا، محاولة الإجابة عن تساؤلات تدور باستمرار حول علاقة المسرح كنشاط إنساني فني بالتربية، وعن نشأته وأهدافه التعليمية والتربوية، ثم الكشف عن فكرة مسرحة المناهج التربوية (التعليمية)، وأخيرا إبراز أهمية استخدام المدخل المسرحي في تربية وتعليم ذوي الاحتياجات الخاصة ودوره في دمجهم ورعايتهم تربويا وتأهيلهم للحياة العامة.

الإطار الفكري للموضوع:

1- المسـرح والتربيـة:

كل قـارئ متتبـع لحركـة الفكـر التربـوي عبر التـاريخ يلاحـظ بوضـوح وجـلاء كيـف كانـت التربيـة غايـة في الحسـاسـية لكل مـا يظهـر من دواعي الرقي والتقـدم والازدهـار في الأوسـاط الاجتماعيـة بوجـه عـام، وكيـف كان المربون القـدامى والمعاصـرون يسـتجيبون بطرائق مختلفة لمتطلبات العمل التربوي ومستلزماته المتجددة، وفي هذا السياق ومنذ عهود خلت سـاد شـعور تربـوي بـأن المتعلم كلمـا عـاش الموقـف التعليمي وتفاعـل معـه وانفعل به كان ذلك أبلغ تأثيرا في عقله وفي وجدانه وفي مكتسباته العلمية والمعرفية، واسـتنادا إلى معطيـات الواقـع في نشـاط المعلمـين والمتعلمـين يظهـر أن الـتعلم اللفظي وحـده يظـل سـطحيا عرضـة للنسـيان ولا يحقـق نتـائج تربويـة معتبرة لكونـه لا يملـك قسطا وافرا من قوة التأثير في نفوس المتعلمين، ومن هنا برزت أهميـة الخبـرة المربية الهادفة والمباشرة في بناء المناهج وفي تنفيذها بالمراحل التعليمية المختلفة، وحيث أن المعلم لا يستطيع أن يضع كل شيء أمام المتعلم ليدركه إدراكا حسيا مباشرا خلال نشاطه التعليمي، لذلك نشأت فكرة الخبرة التعليمية البديلة التي تحل محل الواقع

الذي يتعذر على المعلمين نقله إلى غرفة التدريس، ويعد المسرح منذ ظهوره على سطح المعمورة وسيلة تربوية فنية بالغة الأهمية في تزويد الناشئين بالخبرات التعليمية البديلة، وقد حرصت الحضارات الإنسانية القديمة والحديثة على أن يقترن المسرح بالتربية والتعليم في أي حال من الأحوال، فالمسرح بجميع أشكاله وألوانه المتباينة ينبغي أن يكون مسرحا تربويا تعليميا في المقام الأول، ومن استخدمه في غير هذا الغرض خرج به عن الهدف الذي كان من أجله موجودا (أمير إبراهيم القرشى 2001 م).

إن المسرح بمكوناته الفنية المتكاملة يساهم بدور حضاري ريادي لا يستهان به في إثراء وتعميق عملية التعليم لكل الأعمار ولجميع الصفوف التعليمية، وفي هذا المضمار يتعين على المدرسة باعتبارها المؤسسة التي ارتضاها المجتمع لتنوب عنه في القيام بمهمة تربية أولاده وتعليمهم وفقا لمعاييره الفلسفية المختارة أن تتحول إلى بيئة تربوية تعليمية نموذجية حيوية وفاعلة تتسم بالواقعية والمرونة والاعتدال من أجل توفير الفرص الذهبية الملائمة لدعم مناشط المتعلمين وتعزيز مكتسباتهم، ولا يغيب عن الأذهان أن المسرح في شكله وفي مضمونه يعتمد بالدرجة الأولى على الخبرة المرئية المباشرة وعلى التفاعل الإنساني المثمر الذي يجمع بين الممثلين والمشاهدين، وهو بذلك يتفوق على غيره من وسائل الاتصال بالآخرين في قدرته على توضيح الأفكار وإبراز المفاهيم وإقرار القيم وتثبيت الاتجاهات المدرجة في نصوصه التمثيلية المعروضة، وإذا كانت التربية بمفهومها الشامل نشاطا تنمويا اجتماعيا عريقا مكرسا للعناية بتهذيب الناشئين وتهيئتهم للعضوية الاجتماعية الصالحة، فإن المسرح وهو أبو الفنون وأكثرها أصالة على الإطلاق يمكن أن يكون ميدانا علميا آمنا يليق بخدمة

أهداف التربية وتحقيق غاياتها الاستراتيجية المنشودة (أمير إبراهيم القرشى 2001 م، وحلمي بدير 2003م).

2- نشأة المسرح المدرسي:

نشأ المسرح المدرسي في أحضان مسرح الأطفال معتمدا عليه اعتمادا كليا ظاهرا وباطنا، وكان يحظى بعناية متزايدة من طرف المعلمين والمتعلمين في الأوساط التعليمية المختلفة، ويدعوه بعضهم بالمسرح التعليمي، وهو قديم قدم الإنسانية ذاتها، حيث تمتد جذوره في أعماق التاريخ إلى المجتمعات البشرية الأولى يوم كانت الطبيعة مدرسة، وكان الأب والأم يقومان فيها باستخدام التمثيل في تعليم أولادهما الصغار والكبار ما يحتاجون إليه من المفاهيم الأساسية والمهارات الضرورية الكفيلة بتحقيق أمنهم وضمان سلامتهم في شتى ميادين الحياة، ويرى بعض المعنيين بالأمر في المسرح المدرسي أنه لا وجود في أي حال من الأحوال لنشاط مسرحي إنساني لا علاقة له بالتربية والتعليم، وان المسرح بأشكاله الفنية ومكوناته الأدبية وغير الأدبية كان ولا يزال مؤسسة تربوية تعليمية نوعية مسخرة لتهذيب الناشئين وتغذية عقولهم وإعدادهم للحياة بالحياة نفسها، وقد تفاوتت شعوب العالم منذ حداثة الإنسانية إلى عهدها الحديث في مدى استفادتها من المسرح كوسيط تربوي تعليمي إعلامي قوي المفعول في نشر القيم الدينية والأخلاقية وفي إصلاح الأوضاع التربوية والثقافية والاجتماعية، فالمصريون القدماء واليونانيون والرومان كانوا يعتنون إلى حد بعيد بتقديم العروض المسرحية إلى أولادهم منذ نعومة أظافرهم، وكان المسرح لديهم مدرسة للفضيلة يجد فيها الصغار والكبار ما يروقهم من العبر والحكم والمواعظ الحسنة، وفي العصور الوسطى لجأت الكنائس المسيحية إلى استغلال النشاط المسرحي في تعميم الإرشاد الديني ورفع مردوده، وفي الحضارة العربية الإسلامية برز

النشاط المسرحي وتعددت ألوانه أيام الخلافة العباسية، وكانت عروضه المتنوعة وثيقة الارتباط بالوعظ والإرشاد وانتقاد الأوضاع السياسية والاجتماعية، وفي القرن السادس عشر الميلادي ازدهر النشاط المسرحي التعليمي في الأوساط الاجتماعية الأوروبية، وكانت العروض المسرحية الهادفة في إيطاليا وألمانيا والدانمارك وفرنسا وبريطانيا يتلقاها أبناء المدارس في مؤسساتهم التعليمية، ويتلقاها عامة الناس في الساحات العمومية وفي الهواء الطلق، وفي القرن الثامن عشر الميلادي تعلق الأوروبيون بالتجديد والإبداع في أدبيات المسرح و فنياته، وازدادت دائرة الاهتمام بالنشاط المسرحي المدرسي عمقا واتساعا في أوروبا، وارتقى مسرح الدمى والعرائس في الهند والصين واليابان واندونيسيا، وفي عام 1879 م ظهر أول مسرح مدرسي في مصر كانت تحتضنه مدرسة تابعة للجمعية الخيرية الإسلامية بالإسكندرية، وفي عام 1903 م تأسس أول مسرح تعليمي للأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية كان يشرف عليه الاتحاد التعليمي في نيويورك، وقد سايرت بعض الجامعات الأمريكية هذا الاتجاه باعتماد مسرح الأطفال في مناهجها التعليمية من أجل إعداد القادرين على مزاولة العمل بنجاح في النشاط المسرحي الموجه إلى الأجيال الصاعدة، وفي عام 1918 م حظيت موسكو بتأسيس أول مسرح حكومي رسمي للعناية بالأطفال في روسيا، وفي عام 1936 م وافقت وزارة المعارف العمومية المصرية على إنشاء فرق تمثيلية بالمدارس الثانوية، وفي وقت لاحق انتشر النشاط المسرحي المدرسي في الوطن العربي انتشارا واسعا، وأصبح يمارسه المعنيون بالأمر في التربية والتعليم كنشاط تربوي غير صفي في جميع المراحل التعليمية، وفي السبعينات من القرن العشرين الميلادي اهتمت بعض الأقطار العربية بالتربية المسرحية، وأقبلت على مسرحة المناهج الدراسية في مؤسساتها التعليمية على غرار ما يحدث في البلدان المتقدمة، ومع ذلك لا

يزال النشـاط المسـرحي المدرسي في النـظم التربوية العربيـة يعـاني ضـعف الـدعم المـادي والمعنـوي، وهـو في الوقـت الحاضـر دون المسـتوى المطلـوب أدبيـا وفنيـا بسـبـب إسـناد الأمور إلى غير أهلها وتهميش ذوي الكفاءة والاختصاص في هـذا المجال (أمير إبراهيم القرشى 2001 م، وطـارق جمـال الـدين عطيـة ومحمـد السـيد حـلاوة 2002 م، وأبـو الحسـن سلام 2004 م).

3- أهـداف المسـرح المدرسي:

للمسـرح المدرسي أهـداف تعليميـة وتربويـة ونفسـية واجتماعيـة عديـدة ومتنوعـة يجني ثمارهـا جميـع التلاميـذ الـذين يشـاركون في إعـداد العـروض المسـرحية المدرسـية والذين يشاهدون عرضها على خشبة المسرح، ومن أبرز تلك الأهداف وأكثرها واقعية وفاعلية وارتباطا بصميم العمل التربوي في المراحل التعليمية المختلفة ما يلي (أحمد خيري كاظم وجابر عبد الحميد جابر 1986 م، وأمير إبراهيم القرشى 2001 م، وإيمان العربي النقيـب 2002 م، وطـارق جمـال الـدين عطيـة ومحمـد السـيد حـلاوة 2002 م، وأبو الحسن سلام 2004 م) :

1. إتاحـة فـرص نموذجيـة مثاليـة ملائمـة لخدمـة التعليـم الغـوي وتحسـين مـردوده ورفع كفايته الإنتاجية شكلا ومضمونا.

2. تغذية مواهب التلاميذ وتنمية قدراتهم الأدبية والفنية في وسط تعليمي تربوي مفعم بالحيوية والنشاط والفرح والمرح والبهجة والسرور.

3. تعزيز متطلبات التعلم الذاتي في أوساط التلاميذ وتحريضهم على الاستفادة من النشـاط المسـرحي المدرسـي في تنويـع خبراتهم التعليميـة، وفي التعبيـر عـن أفكـارهم ومشـاعرهم الداخليـة، وفي الإحاطـة بمزيـد مـن المعـارف والمهـارات والمفـاهيم التي يحتاجون إليها في حياتهم اليومية.

4. بث الوعي المسرحي في المحيط المدرسي لتحريك مشاعر أبناء المدارس وإنارة عقولهم وصقل شخصياتهم وترقية اهتماماتهم العلمية وأذواقهم الجمالية.

5. استثارة دوافع التلاميذ وتنشيط استعداداتهم وإشباع ميولهم وتعديل اتجاهاتهم وحثهم على استيعاب مهارات التواصل والإلقاء والحوار والاستماع وتقبل الرأي الأخر.

6. توظيف النشاط المسرحي المدرسي داخل المؤسسات التعليمية في ربط البيئة المدرسية بالبيئة الاجتماعية لتحقيق أكبر قدر ممكن من التكيف والتوافق والانسجام في حياة التلاميذ بوجه عام.

7. تزويد أبناء المدارس بقسط وافر من الخبرات التعليمية المباشرة وغير المباشرة في سياق التربية المسرحية ومسرحة المناهج المدرسية.

8. تهيئة مواقف تربوية جديدة يستغلها التلاميذ في تلبية احتياجاتهم النفسية والاجتماعية وفي ممارسة هواياتهم الأدبية والفنية.

9. توسيع مدارك التلاميذ في ضوء نشاط مسرحي وظيفي يفتح لهم أبواب النجاح في إدراك المعايير والمثل والقيم الأساسية المعتمدة في حياتهم الاجتماعية.

10.استثمار النشاط المسرحي المدرسي في دعم الثقة بالنفس لدى التلاميذ، وفي إثارة هممهم وتقوية عزائمهم ودفعهم إلى اكتساب آليات التفكير الإيجابي في تناول المشكلات وفي مواجهة المواقف واتخاذ القرارات.

11.تدريب التلاميذ على العمل الجماعي التعاوني وعلى المشاركة الإيجابية مع الأقران في نشاط تعليمي تربوي هادف و موجه.

12.تمكين أبناء المدارس من إزجاء أوقات فراغهم في ممارسة نشاط مسرحي تربوي فاعل ومثمر يمدهم بالمرونة في التفكير، ويقودهم إلى رفع معنوياتهم وتأكيد ذواتهم وضبط توازنهم النفسي والاجتماعي.

وفي ضوء تلك الأهداف الإستراتيجية المنوطة بالنشاط المسرحي المدرسي يتحول المسرح بأشكاله وألوانه المختلفة إلى وسيلة تعليمية تربوية هادفة تنير جادة الطريق للمعلمين والمتعلمين والراغبين في نجاح عمليات التعليم والتعلم، وفي هذا المسلك النوعي النظري الضابط للنشاط المسرحي المدرسي تكون الغاية المتوخاة من اعتماد المسرح المدرسي في جميع المستويات التعليمية منحصرة بالدرجة الأولى في توفير إمكانيات مادية ومعنوية إضافية جديدة تساعد أبناء المدارس على بلوغ مزيد من التحكم في عملهم التعليمي دون الاكتراث بتهيئتهم للاحتراف في فنون التمثيل، وكل ذلك مرهون على وجه التحديد بكفاءة المعلمين وبنزاهة الإدارة التعليمية.

4- مسرحة المناهج المدرسية:

وتعني مسرحة المناهج المدرسية بمفهومها التربوي الشامل وضع المادة التعليمية في قالب مسرحي، وهي فكرة تربوية قديمة قدم المسرح المدرسي ذاته، واللفظ المستخدم للتعبير عن هذه الفكرة هو الجديد، وترتبط مسرحة المناهج المدرسية ارتباطا وثيقا بالفلسفة التقدمية في التربية، وهي فلسفة حديثة ومعاصرة تعتمد اعتمادا كليا على نشاط المتعلم وحركته وفاعليته وإيجابيته في العمل التعليمي، وهناك فوائد تربوية وتعليمية ونفسية واجتماعية كثيرة ومتنوعة يحصل عليها أبناء المدارس من مسرحة المناهج المدرسية في ميدان التربية والتعليم بوجه عام، ومن

أهمها ما يلي(أمير إبراهيم القرشى 2001 م، وإيمان العربي النقيب 2002 م، وطارق جمال الدين عطية ومحمد السيد حلاوة 2002 م، وأبو الحسن سلام 2004 م) :

01- تعـرض مسـرحة المناهج المادة التعليمية على التلاميذ بأسلوب مسـرحي مثير شائق وجـذاب.

02- ترفع مسـرحة المناهج درجة الدافعية إلى التعلم في أوسـاط التلاميذ وتقودهم إلى التنافس في تحصيل المعارف واكتساب المهارات.

03- تساهـم مسـرحـة المناهج فـي تفجيـر طاقـات التلاميذ وفي تحرير إبـداعاتهم الأدبية وابتكاراتهم الفنيـة.

04- تتيـح مسـرحــة المناهـج للتلاميـذ فرصـا ذهبيــة ثمينــة للـتحكم في تقنيـات التعبير اللغوي وضبـط آلياتـه.

05- تضيـف مسـرحة المنـاهج إلى العمليـة التعليميـة ألوانـا من الحيويـة والحركـة والفاعلية و النشـاط.

06- تقـوم مسـرحـة المناهـج بدور لا يستهـان بـه في تيسـير فهم المعلومات وتعميق أثرها في نفـوس التلاميـذ.

07- تبعـث مسـرحة المنـاهج الحيـاة في المـواد الدراسـية وتحمـل التلاميــذ علــى تقبلهـا دون ملـل وسـأم.

08- تساعد مسـرحة المناهج التلاميذ على النجاح في حفظ المعلومات والاحتفاظ بها وتذكرها واسترجاعها.

09- تـوفر مسـرحة المنـاهج للتلاميـذ مناشـط ترفيهيـة وترويحيـة ممتعـة، وتضـع في متناولهم إمكانيات جديدة للتعلم بالعمل و الممارسة.

10- تصلح مسرحة المناهج لجميع المراحل التعليمية في التعليم العام وفي التعليم الموجه إلى ذوي الاحتياجات الخاصة.

ويلاحـظ أن مسـرحة المنـاهج المدرسـية وثيقـة الصـلة بمعطيـات علـم الـنفس الحـديث وعلـوم التربيـة المعاصـرة، وأنهـا تسـاير مطالـب الفكـر الجديـد في التربيـة وتفي بمسـتلزماته، وهي لا تغني عـن المعلـم ولا تقـوم مقامـه في أي حـال مـن الأحـوال، ولكنهـا بالغـة الأهميـة وقويـة المفعـول في خدمـة المـنهج التعليمي وفي تنفيـذ مخططاتـه، ومـا يؤخـذ بعين الاعتبـار في مسـرحة المنـاهج المدرسـية خصـائص المرحلـة العمريـة للجمهـور المتلقي، فأبنـاء المـدارس ليسـوا جمهـورا واحـدا، وأعمـارهم الزمنيـة والعقليـة متباينـة ومتباعدة، ومن هذا المنطلق ما يكون مجديا لبعضهم قد يكون عديم الجدوى للبعض الآخر، وهنا يتجلى دور الكاتب والمخرج في بناء مسرحيات المناهج المدرسية وفي تحديد مواصفاتها شكلا ومضمونا.

5- المسرح المدرسي لذوي الاحتياجات الخاصة:

يعلو شأن النشاط المسرحي المدرسي وترتفع قيمته التربوية والترفيهية بالنسبة إلى الأطفـال ذوي الاحتياجـات الخاصـة0 مقارنـة بالأطفـال العـاديين، فالصـم الـبكم والمكفوفـون والمتخلفـون ذهنيـا بوجـه عـام في أمـس الحاجـة إلى الانـدماج في مواقـف تمثيليـة نوعيـة تمكنهم مـن رفـع درجـة ارتبـاطهم بالعـالم الخـارجي، وتفـتح لهـم آفاقـا واسعة لتلبية مطالب نموهم المعرفي والنفسي والاجتماعي، وتهيئ لهم الظروف الملائمة لاستفادة من بقية حواسهم في تعويض ما فقدوه بسبب الإعاقة، ولكي يحقق النشاط المسرحي المدرسي أهدافه في أوساط الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة يجب تكييفه وفـق خصائـص جمهـوره المـؤدي والمتلقي في ضـوء المعطيـات التاليـة (أمير إبـراهيم القرشى 2001 م) :

أولا - الصم البكم:

الأطفال الصم البكم فقدوا القدرة على الكلام بسبب فقدانهم حاسة السمع، ولكنهم لم يفقدوا القدرة على الاتصال بالآخرين من خلال لغة الإشارة وهجاء الأصابع وقراءة الألفاظ المنطوقة، وهم أقدر من المكفوفين ومن المتخلفين ذهنيا على ممارسة النشاط التمثيلي بمهارة وإتقان، كما أنهم يواجهون تحديات كبيرة في التواصل اللغوي، ويميلون إلى العدوانية والانسحاب في تفاعلهم الاجتماعي، ويظهر لديهم الخجل والكذب والاندفاع مع سرعة الانفعال وسوء التكيف النفسي، ويمر الأطفال الصم البكم في حياتهم اليومية بمواقف عديدة يتعرضون فيها لانخفاض تقدير الذات ولعدم الثقة بالنفس وللحساسية المفرطة في التعامل مع الغير، وفي النشاط المسرحي المدرسي فرص ذهبية ثمينة لتغذية المواهب ورفع المعنويات ودعم الثقة بالنفس وتخفيف حدة التوتر الانفعالي ومحاربة الخجل والانزواء والانطواء والانسحاب من المشاركة في الأعمال الجماعية، وفيه يجد الأطفال الصم البكم متعة ومسرة وابتهاجا لكونه يساعدهم على تأكيد ذواتهم، ويتيح لهم إمكانية إشباع حاجاتهم الضرورية لتحقيق تكيفهم النفسي وتوافقهم الاجتماعي في حالة قيامهم بتمثيل الأدوار المسرحية أو بمشاهدة القائمين بتمثيلها على خشبة المسرح، ويتفوق الأطفال الصم البكم على غيرهم في توظيف أجسادهم للتعبير عن أفكار معينة باستخدام التمثيل الصامت، فالطفل الأصم الأبكم لا يقدر على الكلام، وقد فرضت عليه إعاقته السمعية التمثيل الصامت، حيث يستعمل لغة الجسد في اتصاله بالآخرين، ويقوم بالتمثيل الصامت وهو عاجز عن التعبير اللفظي الذي يكون غيره قادرا عليه أثناء قيامه بنفس التمثيل، وهناك ما يدعى بمسرح الجسد، وفيه يعتمد الأداء التمثيلي اعتمادا كليا على الحركة بأشكالها وألوانها المختلفة، فوضعية الجسد أثناء وقوفه على خشبة المسرح وحركة

أعضائه في أي اتجاه أمام الجمهور المتلقي لغة مسرحية حية يدرك المشاهد مدلولها في سياق العرض التمثيلي المقدم إليه، وترتبط مهارات التمثيل الصامت ارتباطا وثيقا بالقدرة على ملاحظة حركات الآخرين ومراقبة تصرفاتهم بدقة وإمعان، ويظهر لدى الأطفال الصم البكم اهتمام متزايد بمتابعة الأحداث بصريا وبقراءة الكلام وتحويله إلى لغة حركية معبرة، وهم بذلك يكتسبون روح الملاحظة منذ نعومة أظافرهم، ويكونون مؤهلين للنجاح في الأداء التمثيلي الصامت وعلى هذا الأساس يحظى النشاط المسرحي المدرسي بعناية خاصة في بناء المناهج التربوية الموجه إلى الأطفال الصم البكم لكونه يساهم بدور بالغ الأهمية في دعم توازنهم النفسي وفي تعزيز مكتسباتهم اللغوية وتنمية ملكاتهم الإبداعية وتدريبهم على مهارات الاتصال وحل المشكلات واتخاذ القرارات.

ثانيا - المكفوفون :

لا يستمتع الأطفال المكفوفون بمباهج الحياة المرئية لفقدانهم حاسة البصر، وهم يعتمدون بالدرجة الأولى على حاسة السمع في اتصالهم بالعالم الخارجي، ويأخذون من الأصوات التي تصل إلى أسماعهم وصفا لما يحدث في الأوساط البيئية المحيطة بهم، وتعتبر الأذن عاملا مؤثرا وفاعلا في النمو العقلي لدى الكفيف، ويقال أن الكفيف يرى بأذنيه، لذلك يعد تدريب الأطفال المكفوفين على التمييز بين التأثيرات الصوتية المختلفة من الأمور التي لا غنى عنها في إعدادهم للحياة، وفي هذا المضمار يمكن استثمار النشاط المسرحي المدرسي في تأهيل الأطفال المكفوفين للحصول على تربية صوتية نموذجية تفتح لهم أبواب النبوغ والتفوق في اكتساب مهارات الإلقاء والإنشاد والموسيقى، وتساعدهم على التحكم في نبرات الصوت ونطق الحروف وفي استخدام تعبيرات الوجه وحركات الجسم المصاحبة للكلام، وبذلك يساهم النشاط المسرحي

المدرسـي في تنشـيط الطفـل الكفيـف وإثـارة مشـاعره وتنميـة خيالـه وفي معالجـة الاضـطرابات اللغويـة والكلاميـة التي تظهـر لديـه وفي رفـع معنوياتـه وتفجير طاقاتـه وخفض توتره النفسي وتخفيف حدة انفعالاته المكبوتة، ويضاف إلى ذلك أن مشاركة الطفل الكفيف في النشاط المسرحي المدرسي تقوده إلى تأكيد ذاته، وتكشف له عن مواهبـه وقدراتـه، وتمكنـه في نفـس الوقـت مـن توسـيع دائـرة معارفـه وخبراتـه الشخصية، ويميل الأطفال المكفوفون إلى الانزواء والانطواء والعزلة، ويعانون قصورا شديدا في التكيف النفسي والتوافق الاجتماعي والتوازن الجسمي والمهارات الحركية، وهم في أمس الحاجة إلى الانخراط في نشاط مسرحي مدرسي تربوي ترفيهي ينمي أذواقهم الجمالية، ويرفع ثقتهم بأنفسهم، ويعزز مفهوم الذات لديهم، ويجعلهم قادرين على النجاح في التواصل والتعاون وتحمل المسؤولية، ومن الموضوعات الملائمة للنشـاط المسـرحي المدرسـي الموجـه إلى صـغار المكفـوفين مـا يـرتبط بتحـدي الإعاقـة البصرية وبمهارات ارتداء الملابس ومشط الشعر وحلاقة الذقن وتناول الطعام وما شاكل ذلك من القضايا المثيرة لاهتمام المكفوفين في حياتهم اليومية مع ملاحظة ضرورة اتخاذ الإجـراءات الأمنيـة اللازمة لحماية الكفيف أثنـاء قيامـه بـأداء الأدوار التمثيلية المنوطة به على خشبة المسـرح.

ثالثا – المتخلفون ذهنيا:

يسـتوعب الأطفـال المتخلفـون ذهنيـا بـدرجات متفاوتـة مـا تيسـر مـن العمليـات البسيطة التي تعتمد مبدئيا على التفكير الحسي الذي يدور حول هنا والآن، ولكنهم يواجهون صعوبات عديدة في استيعاب العمليات المركبة التي تحتاج إلى التفكير المجرد الـذي يتجـاوز حـدود المكان والزمـان، ويضـاف إلى ذلـك أن الأطفـال المتخلفين ذهنيـا يعرضـون بوجـه عـام عـن تحمل المسـؤولية، ويميلـون إلى العدوانيـة والعزلـة والخمـول

والخجل، ولا يكترثون بالولاء للجماعة التي ينتمون إليها، وهم في أمس الحاجة إلى الترويح والتسلية والترفيه لرفع معنوياتهم وتأكيد ذواتهم في مواقف حيوية فاعلة يعبرون فيها عن أنفسهم بطريقتهم الخاصة، وعلى هذا الأساس تعتني المناهج التعليمية الموجهة إلى الأطفال المتخلفين ذهنيا باللعب والحركة والنشاط العلمي القائم على الممارسة والتدريب مع الابتعاد بقدر المستطاع عن اللفظية وعن الإلقاء النظري المعهود في عمليات التدريس، ولا يحيد النشاط المسرحي في شكله و في مضمونه عن النشاط التعليمي المعتمد في أوساط الأطفال المتخلفين ذهنيا، فكلاهما يرتكز على الأداء العملي المعزز بالوضوح والبساطة والتكرار والواقعية وعدم الاستطراد في الكلام، ويتفاعل الأطفال المتخلفون ذهنيا مع النشاط المسرحي الذي يساير قدراتهم اللغوية والفكرية المحدودة، ويجدون فيه من الإشباع النفسي والتقبل الاجتماعي ما يحقق مطالبهم الشخصية، ويؤهلهم للنجاح في القيام بالمهام المنوطة بهم في حياتهم اليومية، كما يستمتعون بمشاركتهم في أداء الأدوار التمثيلية وبمشاهدة رفقائهم يقومون بأدائها على خشبة المسرح، ويبتهجون في كلتا الحالتين بمدحهم وشكرهم والثناء عليهم، وهناك فئة من الأطفال المتخلفين ذهنيا لا يستجيب أفرادها للنشاط المسرحي ولا يدركون أبعاده وفحواه، وهؤلاء هم الذين فقدوا الاتصال بالواقع المحيط بهم، وليست لديهم قابلية للتعلم في أي حال من الأحوال.

ويعاني الأطفال المتخلفون ذهنيا عدم الاتزان في الحركة وفي المشي بوجه عام، ويتعذر عليهم التحكم في مهارات الكلام، ويظهر لديهم ضعف الانتباه والتركيز والفهم والتذكر، ويعتبر النشاط المسرحي بأشكاله وألوانه المختلفة مجالا تربويا حيويا ملائما لتمكينهم من مواجهة هذه الاضطرابات باكتساب مهارات نوعية وظيفية في ميادين العناية بالذات والتوازن الحركي واللغة والاتصال والبيع والشراء وآداب الطريق

وقواعـد المرور والتربيـة الوقائيـة، ومـن هـذا المنطلـق يكون النشـاط المسـرحي بمفهومه الشـامل آليـة تربويـة إسـتراتيجية بالغـة الأهميـة في التكفـل بالأطفـال المتخلفين ذهنيـا شكلا ومضمونا.

ومجمل القـول في المسـرح المدرسـي أنـه نشـاط تربـوي غير صـفي قـوي المفعـول في خدمة الأهداف التعليمية المنشودة، وأن فوائده التربوية والنفسية والاجتماعية كفيلة بتبرير ضرورة اعتماده في شتى المراحل التعليمية، وأن جميع التلاميذ الذين يشاركون في إعداد العروض المسرحية والذين يشاهدون عرضها على خشبة المسرح يجنون ثمار النشـاط المسـرحي المدرسي بأشكاله وألوانه المختلفة، ويلاحظ أنه لا أثر لمسـرح مدرسي يرتكز على معطيات علمية في المنظومة التربوية الجزائرية، وأن ما يوجد في الميدان من ممارسـات مسـرحية محـدودة في بعـض المؤسـسـات التعليميـة لا يعـدو أن يكون مجـرد اجتهادات شخصية مشوبة بالفوضى والعشـوائية والارتجال، ومن هـذا المنطلق يعتبر تأسـيس مسـرح مدرسـي وطني لصـالح التربيـة والتعلـيم في الجزائـر مـن المطالـب الإستراتيجية الجديرة بالعناية والرعاية والاهتمام في الإدارة التربوية بوجه عام.

المراجـع :

01- أبو الحسن سلام، " مسرح الطفل – النظرية، مصادر الثقافة، فنون النص، فنون العـرض "، دار الوفـاء لـدنيا الطباعـة والنشـر، الإسـكندرية، 2004 م، ص 57 – 62، 121، 129، 143 – 155، 179.

02- أحمـد خيري كـاظم و جـابر عبـد الحميـد جـابر، " الوسـائل التعليميـة والمـنهج "، دار النهضـة العربية، القاهرة، 1986 م، ط 3، ص 34، 40، 41، 104 – 112.

03- أمير إبـراهيم القرشى، " المنـاهج والمدخل الـدرامي "، عـالم الكتـب، القـاهرة، 2001 م، ص 13، 14، 17، 21 – 31، 35 – 122، 129 – 145.

04- إيمان العربي النقيب، " القيم التربوية في مسرح الطفل "، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002 م، ص 7، 74، 97 – 102.

05- حلمي بدير، " فـن المسـرح "، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، 2003 م، ص 6 – 17.

06- طارق جمال الدين عطية ومحمد السيد حلاوة، " مدخل إلى مسرح الطفل "، سلسلة الرعاية الثقافيـة للطفـل، مؤسسـة حورس الدولية، الإسكندرية، 2002 م، ص 5، 6، 10 – 46، 60- 68، 72، 87 – 92.